ذلك الاستعجال اصطدم بحائط من الجمود اليهودي الاميركي والاسرائيلي؛ فمنذ البداية، اوضح مستشار الامن القومي في عهد الرئيس كارتر، زبيغنيو بريجنسكي، انه «لن يتحقق اي اختراق اميركي صوب السلام، ما لم تتمكن الولايات المتحدة من اقناع اسرائيل». وأورد المؤلف قولاً لاحد معاوني كارتر المتخصصين في شؤون الشرق الاوسط (يرجّح انه وليام كوانت) ان كارتر «انتهج، خلال السنة الاولى من رئاسته، سياسة تجاه الشرق الاوسط اتصفت بالطموح، ولم تتصف بالانشغال الواجب بالاعتبارات السياسية الداخلية»، أي بالسطوة السياسية اليهودية. واضاف قائلاً انه «بدا للبعض ان كارتر كان، في الواقع، منشغلاً بالشرق الاوسط اكثر ممّا يجب»، وان ذلك الانشغال «بدا لبعض المحيطين به، نابعاً، جزئياً على الاقل، من شواغل دينية، مثلما نبع من تطلعه الى خبطة كبرى» خلال فترة رئاسته (ص ١٠١).

وتبعاً لذلك، الحّ كبار معاوني كارتر على ان يكتفي «شر السخونة الشديدة التي يمكن ان تهبّ عليه من جانب اليهود الاميركيين». لكن كارتر «ركب رأسه»، واعلن ان من «مستلزمات السلام» في الشرق الاوسط توفير وطن لـ «اللاجئين الفلسطينيين الذين عانوا كثيراً لسنوات طويلة». واضاف تيفنان: «ولقد كان هذا التصريح بمثابة وضع عود ثقاب مشتعل على فتيل الديناميت شديد الانفجار والقائه وسط اليهود الاميركيين». ومن يومها، بدأت الامور تدلهمّ بالنسبة الى كارتر، وكما ذكر تيفنان «احرق الرجل نفسه». وعندما زاره رئيس الوزراء الاسرائيلي آنذاك، اسحق رابين، في البيت الابيض، عامله ببرود واضح. وعندما عاد الى اسرائيل، كان أول تصريح اطلقه ناطقاً بالازدراء؛ اذ قال: «يبدو ان اسرائيل سيتعيّن عليها ان تدفع الكثير الى ان تكتسب الادارة الاميركية الجديدة الحنكة السياسية وتقترب من النضج الذي تفتقر اليه حالياً» (ص ١٠٢ ـ ١٠٣).

واستطرد تيفنان في رواية ما جرى لكارتر، الذي بات عبرة لمن يعتبر، فقال ان زعماء اليهود الاميركين الذين تشككوا في كارتر ومعاونيه «ما لبثت ان تحوّلت شكوكهم الى عداء مكشوف. والواقع ان احداً من الزعماء الاميركيين لم يشهد، طيلة تاريخ اللوبي اليهودي، شيئاً يقارب العداء الذي واجه به اللوبي كارتر، وما أعدّه له من مصائب». وحينها صرح احد حاخامي نيويورك لمجلة «تايم» بقوله: «لو كان كارتر قال ابّان حملته الانتخابية شيئاً ممّا يقوله الآن، لما كان رأى البيت الابيض بعينيه» (ص ١٠٤).

ولعل مسألة «الخبطات الكبرى»، التي حاول الكاتب ان يبثّها في ثنايا فصول كتابه، هي التي جعلته يركّز، في الفصل الخامس، على صفقة طائرات «الاواكس» الى المملكة العربية السعودية في عهد الرئيس رونالد ريغان، دون سواها من القضايا الاخرى المثارة، وما اكثرها، فشدّد (ص ١٣٥ ـ ١٦١) على ان طائرات الاواكس الخمس التي حصلت عليها السعودية، والمعركة المدوّية التي افتعلها اللوبي اليهودي حولها، كانت كسباً اعلامياً لذلك اللوبي. كيف ؟ أورد، في هذا الصدد، قولاً لرئيس اللوبي «ايباك» توماس داين: «كانت معركة الاواكس معركة فاصلة. لقد خسرنا التصويت في الكونغرس؛ لكننا كسبنا القضية». وذكر تيفنان ان ما كسبه اللوبي في تلك المعركة كان انتصاراً دعائياً ضخماً، «فقد اعتبر اليهود الاميركيون بيع الاسلحة الى السعودية دليلاً على تعاظم سطوة ما وصفوه بأنه ' اللوبي العربي ' ، واعتبروا بذلك ان اعداء اسرائيل كانوا بدأوا يقفون على ارجل راسخة، على الرغم من ان ' ايباك ' كانت تعرف ان ذلك لم يكن حقيقياً، وان الذي انجح الصفقة، بالقوة، كان رونالد ريغان وليس ' الرابطة الوطنية للاميركيين العرب ' . الّا أن توماس داين لم يكن على استعداد لتضييع الفرصة الذهبية التي هرع اليهود الاميركيون بفضلها الى الانضمام الى اللوبي ودعمه مالياً». وقال احد اليهود الاميركيين النشطين، في هذا المجال: «ان معركة الاواكس كانت من أهمّ المعارك الحاسمة التي كسبتها ' ايباك ' ». فبعد تلك المعركة، لم يعد هناك من يتضرّر من ضغط توماس داين عليه لتقديم كل دعم الى اسرائيل؛ ولقد كان الضغط عظيماً بحق». فاللوبي اليهودي بارع، كما رأينا، في تحويل الهزيمة الى نصر، وجعل كل «ضارّة» نافعة. وهنا يحسن التذكير بأن اسرائيل استفادت، بالفعل، اكثر من التعويضات الاضافية، الاقتصادية والسياسية والعسكرية، بفضل قضية الاواكس.

تبحث الفصول الخمسة الباقية في موضوع اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة. وهذه الفصول هي